



مجلة كلية الكوت الجامعة
للعلوم الإنسانية
K. U. C. J
For Humanitarian Science



العدد - 1 المجلد - 1 السنة الأولى 2020

الأبعاد الدلالية الزمنية في روايات عبدالعزيز المشري

د. فايزة أحمد الحربي

قسم اللغة العربية / جامعة جدة / المملكة العربية السعودية

drfaizah@hotmail.com

بدحه ذياب ميخوت الدوسري

جامعة جدة / المملكة العربية السعودية

badah.dls.1433@gmail.com

المخلص

تقوم الدراسة على (الأبعاد الدلالية الزمنية في روايات عبدالعزيز المشري)، على فكرة أن الزمن موضوعي في كل أطواره؛ لكن التعاطي مع النص بطريقة ما يحوله إلى زمن ذاتي، كما أنّ الدراسة تعمل على استجلاء علاقة الزمن الجدلية مع الذات ومعطيات المنظومة الاجتماعية والثقافية، والكشف عن تمثيلات الزمن الدلالية، متخذة من منجز المشري الروائي نموذجاً للكشف عن أبعاد الزمن الدلالية النفسية والاجتماعية والكونية والأسطورية، ومن هذا المنطلق تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث مباحث؛ المبحث الأول الزمن النفسي في بُعديه صراع الذات مع الزمن بين ماهو كائن ومالا ينبغي أن يكون؛ وفي أزمة الذات الأنثوية؛ في حين تناول الثاني الزمن الاجتماعي في أبعاده (الأسرية – الإقطاعية – الثقافية – والاقتصادية – وصراع الأجيال)، في حين اختص الثالث بالزمن الكوني الذي تمثل نظرة الإنسان القروي إلى بيئته وتصالحه معها، وتوضح الدراسة كيف تفاعلت الشخصيات مع الزمن، وكل ذلك وفق المنهج الوصفي.

الكلمات المفتاحية : الأبعاد الدلالية. الزمن النفسي. الزمن الاجتماعي.. الزمن الكوني. المشري

Time Semantic Dimensions in Abdul Aziz Al-Mishri's Novels

Badha Diab Mabkhoot Al-Doosari

University of Jeddah / KSA

badah.dls.1433@gmail.com

Dr. Faizah Ahmed Al-Harbi

Dept. of Arabic Language / University of Jeddah / KSA

drfaizah@hotmail.com

Abstract

Study on (time semantic dimensions in Abdul Aziz al-Mishri's novels) based on the idea that time is objective in all its stages, however dealing with text in some way turns it into psychological-

time. The study also explores the relationship of dialectical time with self and realities of social and cultural system, detection of semantic time representations taking fiction achievement's Al-Mishri a model for revealing psychological, social, and cosmic time dimensions. In this sense, the study was divided into three topics. The first topic is psychological time in both dimensions of self-struggle with time between what is an object and what should not be and the crisis of feminine self; the second topic deals with social time in its (family - feudal - cultural - economic - and generations conflict) dimensions. While third topic is the global time, which represents the view of rural man to his environment and reconciliation with it. The study shows how characters interacted with time, all this according to descriptive approach.

Keywords : semantic dimensions, psychological -time, social time, universal time and Al-Mashri.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد اكتسب الزمن أهمية خاصة في الدراسات النقدية الحديثة؛ نتج عنها ظهور مصطلحات نقدية متعددة في الخطاب السردي، فالرواية فن زمني يصعب فهمها أو دراستها دون حدودها الزمنية.

"الرواية تركيبية معقدة من قيم الزمن"⁽¹⁾ التي تتشكل من مجموعة عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ونفسية، وينتج عن هذا التشكيل الزمني أبعاداً دلالية إيحائية تتخذ صوراً تختلف من رواية إلى أخرى يرجع ذلك إلى طبيعة الرواية، "فكل رواية جيدة لها نمطها الزمني وقيم الزمن الخاصة بها، وتستمد أصالتها من كفاية تعبيرها عن ذلك النمط وتلك القيم وإيصالها إلى القارئ"⁽²⁾، كما أن هذه الأبعاد تتشكل وفقاً للظروف الزمنية التي تنشأ فيها والتحويلات التي تمر بها وباختلاف زاوية معالجته، وتتمثل الأبعاد الدلالية في صراع الذات والزمن، وعدمية الذات والديمومة⁽³⁾، كما أن "...دلالة العمل الفني لا تتأسس إلا في الأبنية الملتفة والمعقدة

والأفغوانية المسبوكة من النسخ والاسترجاعات والتعارضات وتحريفات الواقع..."⁽⁴⁾.

فالزمن في المقام الأول مقولة زمنية فلسفية إلا أنها تتقاطع مع الزمن الأدبي الذي يتخذ أشكالاً متعددة (زمن نفسي - زمن مجتمعي - زمن كوني - زمن سطوري - زمن تاريخي - زمن ديني... الخ⁽⁵⁾)، وتزخر روايات المشري بالدلالات الزمنية دلالة الذات والزمن ودلالة المجتمع والزمن والطبيعة الكونية...، فالذوات في روايات المشري عاشت صراعاً زمنياً ذاتياً وهذا ما جعلها تتطلع لزمان آخر غير حاضرها، سواء ذوات الأجداد الذين يرفضون المدنية وهجر الأرض، كما أن الأحفاد عاشوا هم الآخرون صراع انسياقهم وراء رغبات الأباء للعيش وفق أسلوب حياتهم الماضية التي لا تلائم العصر وضياح جيلهم بين رغبات الأجداد والأحفاد، ولا بد أن تغاير نظرة الأجداد واعتقادهم، للطبيعة الكونية واعتمادهم في معيشتهم عليها، تختلف عن نظرة الأحفاد.

وفي هذا ستنمحو الدراسة عن تمثلات الزمن الإنساني، ليكون عنوان الدراسة بـ (الأبعاد الدلالية الزمنية في روايات عبدالعزيز المشري)، وعليه فقد تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة

يختلف الزمن النفسي عن الموضوعي باتجاهه إلى الأمام وقدوته على تجاوز الحدود الزمانية وتقسيمات الزمن (ماضي — حاضر — مستقبل)، وبتشظي اللحظة الآنية إلى عدة أزمنة⁽⁹⁾.

"في الماضي كانت الفترة الزمنية التي يستغرقها أي تغيير مهم أطول كثيراً من عمر الكائن البشري... أما اليوم فإن هذه الفترة الزمنية أصبحت أقصر كثيراً من عمر الفرد"⁽¹⁰⁾، ومن ثمَّ الذات في روايات المشري التي عاشت عصرين متناقضين، عصر قروي شعبي، وعصر مدني حديث لم تهيأ له القرية وتستعد ثقافياً ونفسياً لهذا التغيير المفاجئ في حياتها، فلا بد أن ينشأ نوعاً من الصراع النفسي وعدم التكيف مع الزمن الحاضر في الهروب منه إلى الزمن الماضي الأليف لاسيما زمن الطفولة لتسترجع ذكريات دفيئة اختمرت بكل ما تحمله من تناقضات على شكل حوارات ومونولوجات ومشاهد وصفية في محاولة منها، لإعادة بعث الحياة التي ألفتها، ويمكن تمثيل صراع الذات في زمنها الخاص في روايات المشري، تحت مسميين جانبيين:

أولاً: صراع الذات مع الزمن بين ماهو كائن ومالا ينبغي

أن يكون :

يشغل صراع الذات والزمن في رواية (الغيوم ومنابت الشجر) حيزاً كبيراً في الرواية، بدءاً بصراع الراوي المشارك (المعنى) ثم باقي الشخصيات، ومن هنا يتعدد ويتنوع صراع الذات وسببه، إلا أن هذا الصراع يدور في فلك التحولات الاجتماعية، فرواية الغيوم ترصد التحولات وما بعد التحولات⁽¹¹⁾.

" قال المُعنى- ورددها في مطلع أغنياته - إن العناء قد أخذ منه بكل مأخذ، فغدا (صاحب المثل) (ومقول) القول في الحكمة والمثل .. وكان بقوله، يوثق لرقصة الزنود السالفة في مدار الأيام الوافدة، فقال، وقال"⁽¹²⁾.

يختار (المعنى) كراوي مشارك في الأحداث، السياق الزمني السردي المناسب لذات (المعنى)؛ الزمن الماضي المتلبس بالحاضر، حتى يصعب التمييز بين الزمنين، فعاشت

وتمهيد وثلاثة مباحث (الزمن النفسي- والزمن الاجتماعي- و الزمن الكوني -)، وخاتمة

والدراسة تقوم على المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن الأنساق الزمنية للصراعات الاجتماعية والثقافية، والأبعاد الدلالية لتلك الأنساق، وذلك من خلال جمع واستقراء نماذج لتلك الدلالات في روايات المشري.

ويعمل هذا البحث على دراسة الأبعاد الدلالية للزمن في روايات عبد العزيز المشري التي نشرت بعد وفاته، وقد قام بجمعها صديقه الشاعر علي الدميني في كتاب (كتاب الآثار الكاملة لعبدالعزیز مشري) الصادر عن دار فراديس للنشر 2010م وهي:

الجزء الأول من المجلد الثاني: الغيوم ومنابت الشجر) (1989م)، ورواية ریح الكادي (1992م)، ورواية الحصون (1992م)، ورواية صالحه (1996م).
الجزء الثاني من المجلد الثالث: الوسمية (1984م)، ورواية في عشق (1996م)، ورواية المغزول (2005م)⁽⁶⁾.
وقد تم الاعتماد على الأعمال الروائية من مجموعة الآثار الكاملة لما تتميز به من ترتيب زمني، وسهولة الوصول إلى جميع أعماله الروائية من مرجع واحد.

المبحث الأول: الزمن النفسي:

للنفس البشرية زمنها النفسي الذاتي الذي تعيشه ويتشكل بناء على تواصله الاجتماعي وبناءه الفيسيولوجي وخبراته وتجاربه العاطفية ومعتقداته وثقافته، والزمن النفسي يختلف باختلاف الأفراد بناء على ماسبق، لذا تمتلك كل ذات زمنها النفسي الذي تعيشه ويطبعا عن غيرها، ولا يقاس مثلما يقاس الزمن الطبيعي⁽⁷⁾، "فيختلف في تقديره، لأنه يشعر به شعوراً غير متجانس، ولا توجد لحظة فيه تساوي الأخرى، فهناك اللحظة المشرقة المليئة بالنشوة التي تحتوي على أقدار العمر كله، وهناك السنوات الطويلة الخاوية التي تمر رتيبة فارغة كأنها عدم"⁽⁸⁾.

تقول أمي: اذهب، خلع ملابسك، وتعال تغدّ، طبخنا اليوم (الرز).

... تكون أصابعي الخمس اليمنى قد انغمست حتى الكف، أغسلها، وألحق بجدي وأختي، إلى الوادي لمعاونتهم في أشغال الزراعة، ومعني كتاب (التوحيد) أو (التجويد) أو (المحفوظات)... (16).

يذهب (المعنى) إلى استحضار ماضي الطفولة بما يحمله من صراع الذات والزمن الذي يوطره التناقض بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، هذا التناقض يتجسد في الأنا الحاضرة التي تصارع الزمن الحاضر بطلته الجديدة الغير معهودة، (المعنى) كذات تعاني من عدم توافق زماني مع حاضرها الجديد المغاير تماما للمألوف الذي عاشه، فتهرب من هذا الواقع المعاش المفاجئ لتعود للزمن الماضي الأليف الذي أعدت نفسها أن تعيش المستقبل على أساس النموذج القروي متكرر لكل حيوات وشخوص القرية، بالتالي استرجاعه ذات للزمن الماضي يأتي كمعادل نفسي في الحاضر، وهنا يظهر صراع الأنا الماضية مع الزمن أيضا في صورة التناقض بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون " ضربني الأستاذ، أو قل "فرشني" في اليمين هذا اليوم لسببين عظيمين:

لم أحفظ جدول الضرب كما يجب .. ولم أحافظ على كتاب الحساب، فقد التصقت به كسرو خبز الفسحة وهي ساخنة... (17)، وكثيرا ما تأتي الاسترجاعات على هيئة تساؤلات واحتجاجات " كنت غيبًا كسولاً في حصة (الرياضة) ... أما في الرسم فكنت معروفاً بالتفوق، لكنني أوبخ بدعوى أن الرسم مهزلة، وتضييع للوقت.. أسأل نفسي لماذا لا يقولون عن هذه حصة (الرياضة)؟" (18)، " في التجويد أشياء لا، ولن نفهمها لكننا نحفظها، وهذا هو المطلوب... (19).

وعلى النقيض يأتي صراع الذات المدنية التي ترفض المنظومة القروية، ويُمثّل هذا الصراع في الرواية شخصية (حمدان بن ظافر) الذي اختار حياة المدينة، وله رأي في منظومة القرية الاجتماعية فلم يمتن الزراعة كما يجدر به

الذات صراعاً بين زمنين متناقضين زمن الطفولة وما يمثله من حقبة زمنية قروية، وزمن الحاضر الواقعي نتيجة لما يعيشه من معاناة وغربة وعدم ألفة مع زمنها الحاضر، و صراع (المعنى) ترك في الرواية بعداً دلالياً زمنياً على الصياغة الزمنية وشكل الرواية - الذي تكون من نافذة وثلاث مشاهد.

فكانت صياغته الزمنية انتقائية تراوحت بين الأنا الحاضرة و الأنا الماضية فكان الراوي ينتقي استرجاعاته واستباقاته بما يتناسب مع الصراع النفسي الذي تعيشه الذات مع زمنها، فيستهل (المعنى) السرد بإعلان صريح عن معاناة الذات التي تناضل لأجل قضية محسومة منذ الاستهلال الأول وكان المحفز لهذه القضية أو إعلان التوثيق الذي أخذ منه كل مأخذ رغبة من الذات بإحياء الأيام الماضية في مدار الأيام القادمة، إذن لماذا هذه المعاناة التي أخذت بالمعنى كل مأخذ؟ " إن علاقة الذات الساردة بماضيها الشعبي تعدّ علاقة جذرية متينة عموماً؛ وهي علاقة تشكلت في ذاكرة شعبية، يحرص فيها السارد على أن يتغنى بماضيه أو طفولته الاجتماعية الشعبية، بصفتها قيمة ثقافية إنسانية وحضارية... (13)، وهذا مادفع الراوي إلى اختيار اسم (المعنى)، الذي يحيل الفلكلور اليمني (قال المعنى سمعت الطير يترنم) (14)، عاصر (المعنى) التحولات التي شهدت انقلاب في المعايير الاجتماعية والثقافية والسكانية، وهذا الانقلاب المفاجئ أشعل جذوة صراع عنده، فكثيراً ما يسترجع الماضي وخصوصاً مرحلة الطفولة، المحملة بالكثير من الوقفات مع النفس والتساؤلات عن التناقض بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، وهذا التناقض يجعل المعنى يشعر بالضيق تجاه المتغيرات الزمنية (15)،

" قال المعنى:

هناك عمل ينتظرنا، بعد عودتنا من المدرسة كل يوم... نكون قد توضحنا في العلب الفارغة التي نأخذها من عند غرفة (الأستاذ المقاول) .. نملأها من (حنفية) المدرسة، ونتوضأ وضوءاً خارجياً، نصلي كلنا خلف مدير المدرسة، ننصرف إلى بيوتنا.

في الورقة الأولى التي جسدت معاناة أبي زيد من فوبيا السفر، وعدم تكيفه مع الحاضر غير المألوف، وانعدام الشعور بالأمان الذي يمثله المنزل، لذا في كل مرة يهرع إليه هارباً من المجهول، فمر الزمن النفسي بطيئاً ثقيلًا، ومن ثمّ لا مفر للذات المضطربة إلا الانكفاء داخلياً إلى عوالم وحكايا في حوارات ومونولوجات نفسية " أربع وعشرون ساعة انسحقت ثوانها بين جوانحه، وسأل ذاته غير مرة: (ماذا تريد منها، والنهاية؟!)"...⁽²⁷⁾، يفر إلى داخله من الخيبات النفسية التي تصطدم بها ذاته عند في كل مرة يُخفق في لقاء (حتى)، ومع كل المهيبات الجسدية والنفسية والاحتياطية، إلا إن كل ذلك يؤدي إلى فشله وانكساراته وعودته من حيث جاء⁽²⁸⁾، وتتصاعد ذروة الحدث النفسي في الورقة الثانية عند وصول مهاتفة من (حتى) تطمئن عليه "ستة عشر شهراً بأيامها ولياليها واختلاط بياضها بسوادها .. مضين بالرغم من كل قمم الجبال وصراع أمواج المحيطات... يتلقى صاحبنا مهاتفة قصيرة ... مفادها أن السيدة المبجلة سألت، بعد معرفتها بظرفه الصحي..."⁽²⁹⁾، ستة عشر شهراً من الانكسار والصراع مع هذا الزمن المحدد، إقرار منه مسبق بأن عشقه (لحتى) جنون وتجاوز حد المعقول، إلا أن الحنين دفعه للسفر لمدينة (حتى) مرة أخرى⁽³⁰⁾، يشدّد به الصراع مع الزمن والاضطراب من حالة السفر، ولكي يجد حالة من التوازن النفسي والعقلي يذهب في مونولوجات وحوارات مع نفسه،

"حاور نفسه طويلاً حول تساؤلات، كأنما تبدو له للمرة الأولى..."

- لماذا تحبها بالرغم من البعد الفاصل في المكان...؟

- لماذا هذا الحب المجاني، وأنت تفارقه دون ردٍ منتظر...؟

- لماذا تختار عذابك اللذيذ المر، وماهي النهاية؟...

رأى صاحبنا أنه يتنبه من حلم، وأن حلمه تسرب عميقاً في أقواس أضلعه. فكر أن يذهب خلف اصطلياد الأجوبة.. الأجوبة التي ربما وجد بعضها منها بين يديه دون عناء⁽³¹⁾.

كواحد من أبناء القرية الذين يرثون مهنة ابائهم، ولم يكن من مؤيدي الزواج المبكر، فينشأ الصراع بارغامه من والده بالعودة إلى القرية قسراً لأنه يرى أن المدينة تخرب فطرة أبناء القرى⁽²⁰⁾، ويبدو ضيق حمدان بالعيش في القرية من اجاباته المختصرة لمن كان يسأله عن السفر من أهالي القرية⁽²¹⁾، ويبدو أن غيابه عن القرية كان طويلاً أنساه مخاطبة الناس، يقول في رسالته لصديقه: "بدأت أتعلم كيف أتخاطب مع الناس"⁽²²⁾، ومن ثمّ هو يدرك الصراع الذي يعيشه مع ذاته، فيقول أيضاً مخاطباً صديقه في رسالته: "تعب المشي من قدمي... وإن لم يأت قلبي إلى الديار فإن ديار القلب مورقة بالأنوار، مبتلة بظلل الوعود..."⁽²³⁾، ينهي حمدان صراعه مع الزمن القروي، فلم تطل غربته القروية، فينهيها لصالح المدينة، بأن هجر القرية إلى الأبد.

ساق الراوي مشاهد صراع حمدان مع القرية في تبرم وسخط صامتين وتنافر نفسي وسأم وملل، وعلى النقيض يسوق الراوي مشهد هجرة حمدان النهائية: "أما حمدان فكان يبتسم ويهز رأسه، ويجد في شرب القهوة مع الجد، كأنه يتأهب لشيء يخاف أن يفوت ولا يعود."⁽²⁴⁾

يشكل الزمن النفسي في رواية (في عشق من حتى) دوراً رئيسياً فيها، إن لم يكن عمادها، فالشخصية الرئيسية (شخصية أبي زيد) تعاني اضطرابات نفسية تتجسد بداية في فوبيا السفر الذي هو بطبيعة الحال نشاط زمني، ومن ثمّ يأخذ السفر أبعاداً نفسية عند (أبي زيد)، ففي كل مرة يحزم حقائبه للسفر لقاء محبوبته (حتى) فما أن يصل صالة المطار حتى يفر هارباً إلى منزله يدفعه في ذلك حنين غريب إليه⁽²⁵⁾، وهذا الحنين هو نفسه ما يدفعه للسفر للقاء محبوبته "حتى" التي اختار لها اسماً زمنياً يفيد انتهاء الغاية، فكأن اسم المحبوبة يعطي ميثاقاً باستمرار أبي زيد بحبها الذي هو غايته، كما يلاحظ أن ما بعد حتى يقبل وجوه الإعراب الثلاثة (النصب والجر والكسر)، وبالنتيجة تعطي إيحاءً آخر بتوقع مصير أبي زيد في نهاية قصة حبه (لحتى) على ثلاثة أوجه، كما يقدم الراوي روايته في ثلاث ورقات تتناسب هي الأخرى مع عدد أوجه الإعراب الثلاثة⁽²⁶⁾، يظهر صراع الذات مع الزمن جلياً

الم، وتغير زمان (عطية) بأسوأ منه حيث لا ينبغي أن يكون، فقد "تبدل الكلام بين الناس بالإشارة من أبواق السيارات، ودور مؤنس من أهل الجيل الوقور فما لقي أحدًا... (فما أصعبك من حياة، بقي من نهاراتها القليل في هذا الركن من الحجر والطين)"⁽³⁷⁾.

ومن صور صراع الذات مع الزمن بين ماهو كائن ومالا ينبغي أن يكون في رواية (ريح الكادي) صراع الذات التي تعاني من تسلط الأب، فتكون الذات مجبرة على العيش تحت ظل الأب، ويُمثّل هذا الصراع في الرواية شخصية (حامد)، الذي عانى صراعًا هو الآخر في ذوبان شخصيته أمام والده، وتحكم الوالد حتى في تربية ابنائه وعجزه عن كف الأذى عن زوجته، على الرغم تقاينه في العمل، والنصيب الأكبر من نصيبه في العمل، فعمل (ملقفا) للبناء للتخفيف من أعباء الأسرة.

بينما يتشكل صراع الذات الإنسانية مع الطبيعة في صراع ذاتي جمعي في رواية (الوسمية)، صراع مع قوى الطبيعة في زمن محمل بالانتظار والقلق، فحياة الذات القروية مشروطة بما تجود به الطبيعة خصوصًا بما تجود به السماء من مطر ورياح موسمية، فالزمن النفسي يدور مع حركة الزمن الطبيعي الكوني، ومن ثم كل موسم مطري أو بالأحرى قبيل الموسم المطري يتجدد الزمن النفسي في صراع الذات مع قوى الطبيعة، فالفصل الأول من (الوسمية) الذي وسم به (انتظار) يجسد صراع الإنسان القروي مع قوى الطبيعة، فحياة الذوات الإنسانية في قرية (الوسمية) باعتمادها على الطبيعة، تكون في حالة ترقب زمني نفسي وانتظار محمل بالقلق " ... كان القاعدون معه يغوصون في معان كثيرة للانتظار. راحت تصوراتهم في البعيد، تعدت معنى الانتظار، واستوت جميعها عند سقوط المطر، مطر "الوسمية" المحتجب في هذا الزمان"⁽³⁸⁾، ويظهر الصراع الذاتي الجمعي في موضع آخر "مضت أيام طويلة وقاسية ومحاطة بالجفاف، تحولت فيها كل آمال الناس إلى رجاء يستعطف رحمة السماء..."⁽³⁹⁾، ونزل المطر... لكن صراع الذات الإنسانية في قرية (الوسمية) لا ينتهي بمجرد نزول مطر

لقد عانت الذات صراعًا مع الزمن الحاضر الذي لا سبيل لها لتجاوزه، إلا تلك المونولوجات والتساؤلات الداخلية، الزمن النفسي قد يطول ويقصر تبعًا للحالة الشعورية للذات، فاللحظات القصيرة تطول وتشغل زمنيًا نفسيا طويلا قد تمتد لصفحات، فزمن انتظار أحمد لخاله (حتى) في أقصى حد لا تتجاوز الساعتين بين السيارة والطابق الثالث، و لكن مدة انتظار أب (و زيد) كانت زمنيًا نفسيًا طويلًا خيم على الذات التي لم تطق حالة الانتظار والترقب والتوقع، وقد شغل هذا الزمن النفسي أكثر من أربع صفحات من الرواية الذي جسد باسترجاعات وحوارات وتساؤلات وأجوبه⁽³²⁾.

أما في رواية (رواية ريح الكادي) فقد كان صراع الذات مع الزمن بين ما هو كائن ومالا ينبغي أن يكون (للشايب عطية) نصيب كبير منه، فحياته الزمنية مرت بعصرين زمنين متناقضين، عاش عطية في زمنه الأول في تناغم وتماهي تام مع معطيات عصرة، فعاش السلطة والسيطرة على منزله وأهل بيته وأرضه، ويسير في خطوات زمنية مدروسة ومعروفة، هذه الخطوات خطاها كما خطاها أبوه وجده، ويفترض بابنه وحفيده أن يخطوها، عاش (عطية) في الزمن الأول كما ينبغي به أن يعيشه، إلا أن لديه هاجس الخوف من الزمن القادم، وتقلب أحواله وسلبه ثوابته الثقافية، ولاريب أن الزمن انقلبت معايير على عطية جالبًا معه معايير ومتغيرات جديدة على عطية الذي يرى أن الحياة مستمرة والشباب متجدد ولا يشيخ قلبه مادام يزرع أرضه⁽³³⁾، ولكن دوام الحال من المحال في الزمن الماضي، تخوف من تعليم البنات، ويظهر ذلك جليًا في حوار مع حامد الذي يستهجن عليه إرسال بنات القرية إلى المدرسة⁽³⁴⁾، ويقدم الزمن الجديد درست مريم بنت حامد في المدرسة، يقول: "اسمع يا اني .. أرى الزمان بسوء بأبنائنا ونحن أحياء .. قلت لك جاءت المدارس، وصرفت أولادنا عن عمل الأرض، وصار الصغير يهزأ بالكبير .. تقول لي ندخل بناتنا، على آخر الزمان المدارس؟! عجب يا زمان"⁽³⁵⁾، "وعلم الأب الشايب حتى استقر في قلبه اليقين أنه حياة كانت تسير على الدابة في المتاع والركب تتعطل، بل تباع وتذبح اليوم، وتقنى الحياة الحية في صدره إلى حياة أخرى في ري الولد..."⁽³⁶⁾

السيارات، وهذا الاستشراف يصور عقلية الشيخ في الانفتاح للمستقبل، فغدا عندما تجيء السيارة غدا سيطالبون الدولة بفتح مدارس لأبنائهم ليتعلمون، ومن ضمن ما يتعلمونه عجن الخبز، ويتعلمون دينهم دنياهم، بدلاً من العناء الذي عاناه أبناء القرية في الذهاب للمدرسة التي تبعد نصف يوم مشياً، وما يتعرضون من مخاطر المرض والسيل والرسوب⁽⁴⁵⁾.

يأتي الفصل الموسوم بـ (أحمد يتعلم أشياء جديدة) لتتوج الزمن النفسي في رواية الوسمية فأحمد الذي يعيش صراعاً نفسياً هرومونياً يتزامن ويحمل رغبة مراهق في الكشف والاستكشاف، لكن القيود الاجتماعية وحاجز العيب يمنعه من اشباع فضوله، أو الإفصاح عنها، "مضت أيام. كان أحمد يشعر فيها بحاجة إلى شيء لا يمكنه الإفصاح عنه... قال في نفسه متخوفاً: (لو أنهم يعرفون)"⁽⁴⁶⁾، بل إن سؤاله العفوي الطبيعي الذي سألته لأمه التي وجد عندها الرفض واستنكار السؤال شكّل عنده صراع نفسي، مما حدى به إلى البحث عن إجاباته عند صديقه (غرم) "بـ مرة سألت أمي .. من أين تلد العيال.. تلمحت فيه وقالت لي.. عيب استخ.. العيال يجون... من فتحة السقف"⁽⁴⁷⁾.

أما رواية (المغزول) فتشكّلت من زمن ذاتي نفسي، حيث راح زاهر يتهاوى بين الواقع الآني الممتزج بالهذيان وبين الماضي الذين تجسدا داخل السرد الذي تمثّل بتذكر أحداث فاصلة من حياته، كما تمثّل بالأحلام والحوار النفسي والمونولوجي، تأتي تلك التمثّلات كمعادل موضوعي عن صعوبة عيش اللحظة الآنية محولاً لأمه إلى سمفونية نفسية، ليصنع لنفسه فلسفة للتغلب على الألم وعلى الموت "إذ أنه ينسى في العادة كونه مريضاً... إنه يحتقر ألا يعرف الناس أن نقص الصحة أو فقرها فيهم؛ مخيف إلى مشارف القلق. أليس الخلل في موازنات الطبيعية والحياة؛ فلماذا لا يكون الخلل الصحي في الأبدان جزءاً واقعاً في شأن الخلل؟، ولماذا يهيوون ذواتهم للوقوع أو الانصياع بخوف وانهازم!"⁽⁴⁸⁾.

تشظى الزمن في رواية المغزول بحيث اختلطت الأزمنة الثلاث بالخيال والهذيان حتى غدا الزمن سرمدياً لا ينتهي فذات زاهر تعيش صراع ساعة الموت وتؤمن كل الإيمان

الوسمية، فما إن ينزل مطر هاتى يكونوا في سباق مع الزمن "مرت أيام سبعة وثمانية، بذروا الشعير والقمح والعدس في أديم الأرض، غطوا عطوا عليها بالتراب الندي بالمحراث. قعدوا زمنا يعدون فيه الأسابيع..."⁽⁴⁰⁾، فما إن تستوي الحنطة والشعير، وينضج العدس، حتى ينبعث الزمن النفسي للإنسان القروي فتكبر فيه التوقعات المحملة بالأمال والأنظار المعقدة في غمام السماء، "استمرت الحال لأيام سبعة... يكبر التوقع ويكبر، كلما صار لون الغيم كحلا، "لا بد من سقوط المطر والغمام دليل يعلن مجيئه"⁽⁴¹⁾، فإذا ما أرعدت، ثم أمطرت، و"امتألت الخلجان والسواقي، وجرت المياه إلى مواطئ الزرع والشجر"⁽⁴²⁾، حتى يبدأ زمن نفسي من آخر، فـ "لو زاد عن هذا الحد يضر بالزرع... توارد الخوف في القلوب: سيضر بثمار اللوز والمشمش"⁽⁴³⁾.

ويحضر سياق زمني نفسي آخر إلى جانب صراع الذات مع القوى الطبيعية، صراع الإنسان مع جدت الأيام وصروفها القادمة، هذا الزمن ابتداء بحضور الخط إلى قرية الوسمية، يتجلى هذا الصراع في عوالم الشيخ الذي شارك في فتح الخط، حيث عاش صراعاً ذاتياً نفسياً، وهذا ما دفعه إلى الانكفاء داخلياً يدفعه إلى ذلك الصراع الذي يعيشه، فامتزجت ثلاثة أمور الماضي والحاضر والمستقبل بمقارنة بينها، في الأول استرجع حياة الآباء والأجداد الذين حملوا الحمير والجمال أحمالهم، التي تغدّت على كل أخضر في البلاد، ولم يحتاجوا خطأً أو سكة، بينما أجال فكره في الثاني فيما يقال عن مزايا وخدمات السيارة، التي تحمل الأحمال الكثيرة وتقطع المسافات الطويلة في وقت قصير مختصرة عناء السفر الذي عاناه الأجداد، هذه السيارات جلبت معها زمناً جديداً حيث البعيد أقترّب، وابتعد القريب وتكلم الحديد، وسائق السيارة غريب عن القرية يأتي في أيام معدودة وأجرته أعلى من أجرة الجمال، ومع مجئ الخير "قلت البركة... وأصبحت الفلوس هي التي تسوى الرجال... خرب الزرع وقلت البركة... صار البترول يأخذ الناس... كان يجب أن نفتح درباً للسيارات، ونجئ بمواطير لنزع الماء ورفعها، ونشترى الحنطة الأمريكية... مرة نضيع.. ومرة نصبح رجالاً"⁽⁴⁴⁾، أما الثالث فقد استشرّف الزمن القادم بانتهاء الخط ومجيء

لي حقي.. مثلكم وأكثر من بعضكم، أحمي مزارعي التي تكرمني حين بالذود والعرق أكرمها.

فهاث عنكم إن كنتم من الحق منتقصين⁽⁵³⁾، وهذا حال المرأة التي تأذى زرعها من (حمارة) عطية، التي لم تقف مكتوفة الأيدي فقد حبست الحمارة وعلأ صوتها على عطية وأسرتها، ولم تطلق أسر الحمارة حتى تعوض بما فقدته⁽⁵⁴⁾، لكن هذه الحالة الفردية من نسق المرأة استردت حقها بالقول والفعل الذي تجسد بأسر الحمارة.

ومع وجود هذا المقياس العادل، إلا أن أزمة الذات الأنثوية تنزامن في عدة سياقات في رواية (ريح الكادي):

- التعليم: المجتمع القروي في رواية (ريح الكادي) يمايز في التعليم، فالتعليم حق مشروع للذكور دون الإناث "لم يكن للأولاد الثلاثة الذكور نصيباً، أكبر من أختهم في البيت، كلهم يأكلون مع الكبير في صحن واحد، يلعبون جميعاً ويساعدون الوالدين والجدين، غير أن ميزتهم ذهابهم للمدرسة"⁽⁵⁵⁾، وبناء على هذا التمييز الذي هزمه الزمن الحديث كان لا بد أن تعيش الأنثى صراعاً للحصول على حقها في التعليم، لكن صراع الذات الأنثوية هنا كان صراعاً ضمنياً أسقط السارد تفاصيله، لأن ما يهم هنا النتيجة النهائية، فصرع الأنثى في الحصول على حقها في التعليم كان نتيجة حتمية حسمها الزمن، لكن السارد قدّم ملمحاً من ذلك الصراع ساقه في تضاعيف الحوار الذي دار بين عطية وابنه حامد: "اسمع يا بني.. أرى الزمان يسوء بأبنائنا ونحن أحياء.. تقول لي ندخل بناتنا، على آخر الزمان المدارس؟! عجب يا زمان.. ولم تكن مدرسة البنات التي افتتحت في الضاحية، وساق بعض الأهالي بناتهم إليها، إلا مبعثاً لجدال حار وشديد بينه وبين ابنه"⁽⁵⁶⁾.

- صراع زوجة الابن لإثبات مكانتها: فطيمة تمثل نموذج صراع الزوجة في الأسرة السعودية

بأحقية استمراريتها في الحياة مع يقينها أن معركتها مع الوقت مسألة زمن محسومة، وتأتي هذه الجرأة في مجابهة زاهر للموت لتمده بزخم يشعره بالقوة والقدرة مقابل ما عاشه من عجز يبتر أطرافه⁽⁴⁹⁾، بمرور الأيام تصالحت ذات (زاهر) مع الألم بأن غدت في حالة نكران تام لمرضه باحتضان آمم الآخرين حتى أنها تساءلت "لماذا لا يتعاطف مع مرارة حالته الآن، وهو يتجمّع في السرير كقبضة بطرف ناقص!

لماذا يتألم للآخرين ويعطف عليهم بكامل أسى الشفقة.. ويرفض أن تمنح له بأية صفة من الآخرين"⁽⁵⁰⁾ حالة النكران دفعته إلا التصالح مع الألم حيث "... أن "زاهراً" عرف ويتأكد المجرب.. أن الناس الأكثر تخوفاً من المرض، هم أولئك الذين يرمون أنفسهم مسبقاً وباستعداد طري للشفقة ولاستجداء رعاية وعطف الناس..."⁽⁵¹⁾، يرفض زاهر نظرات الشفقة معتبراً المرض تهمة شنيعة غير عادلة.

ثانياً: أزمة الذات الأنثوية:

تستهل رواية (ريح الكادي) أزمة الذات الفردية باستحضار ثنائية الرجل والمرأة عبر مقياس مفاضلة عادل وهو الأرض التي تساوي بين الذاتين، يقول السارد: " باليد الواحدة من الصحن يأكلون، وباليد الواحدة في شأن الحياة يعملون... الأرضُ المعطاء، تساوي بين ذات المرأة وذات الرجل والكل له على قدر التعب نصيب"⁽⁵²⁾، ومع هذا الاستهلال الذي يؤكد المساواة بين الذاتين باعتبار مقياس الأرض، إلا أن صراع الذات الأنثوية تكرر في الرواية كثيم لمعاناة الأنثى مع الزمن الماضي، فالسارد يستحضر قول الذات الأنثوية الماضي في الفصل السادس، بتمثل صوتها عبر لغة شعرية للمطالبة بإنصافها على أساس عنصر المفاضلة الأرض،

"وقالت المرأة خليتها مزرعتها:

أنا امرأة مثلكم يا بني قومي، لا ينقصني زندي، لعل في حدة لساني بدلاً عن (جنابي) الرجال.

وتسليط الضوء على أزمة الذات الأنثوية وصراعها عبر الأزمن (59).

تسعى بطله الرواية في السياق الأول إلى إثبات ذاتها واستقلاليتها الذي لا سبيل لها في تحقيقه إلا بتجردها من كل مظاهر زينة الذات الأنثوية، وتحمل عبء العمل الشاق، فهي تشقى من البيت إلى الوادي، ومن الوادي إلى البيت (60)، صالحة نذرت نفسها لطفليها بعد موت زوجها عنها، وهي حامل بولد ذكر، وفي يدها بنت صغيرة (61)، وهجرها وتجردها من كل زينة الأنثى، ونبذها فكرة الزواج مرة أخرى، وفي مقابل هذا السياق يأتي سياق آخر يمثل صراع صالحة مع عامر الذي طمع في أرضها وحلالها ولا سبيل له للاستحواذ عليها وعلى ما تملك إلا بزواجه منها، وفي كل مرة يقابل عامر رفض صالحة مراراً وتكراراً على الرغم من كل المكائد التي دُبرت على يد (عامر) لإخضاعها، ونتيجة ذلك أن أذاقها ويلات جسعه من قتل بقرتها، وسرقة حنظلتها، وإحراق النار خلف منزلها، كل بتواطئ الفقيه والتاجر رابح المرابي الذي طمع هو الآخر في الزواج من سعيدة ابنة صالحة، أقطاب الشر الثلاثة التي تملك السلطة والمال، لم تكسر صالحة الذات ولم يضعف من عزيمته صالحة وقوتها في الوقوف أمام هذا الجبروت، أما السياق الثالث فيجسد صراع صالحة المرأة المسؤولة والأم العاملة التي تسعى لتوفير الغذاء والمعيشة الكريمة لأولادها، ومما يزيد الأمر سوءاً صعوبة المكائد التي لاقتها من أقطاب الشر في قريتها التي لجؤوا لإخضاعها لرغباتهم وقت الجوع والقحط والانتظار، أملاً منهم في أن تتكسر وتلين، حتى لا يجوع أطفالها، ولكن (صالحة) لديها احتياطاتها لمثل هذه الأوقات "امتدت يد (صالحة) إلى كيس الحبوب، الذي كانت تحفظه بذورا للخريف القادم، فعملت منه طعاماً في الصباح والمساء... قالت، اليوم، يوم لا يخبأ فيه عن الجوع شيء" (62)، وهكذا تساوتم صالحة مع الأيام "ولم يقصها عن الآخرين ناقص... تزرع مثلما يزرعون، وتسكن في دار الحجر والطين... بل إنها ربما تميزت عن بعضهم، بأن تحت يديها بقرة لم تفرط في اقتنائها" (63). في مجتمع صالحة تقاس الأمور ويخضع إنسان القرية لميزان البيت والوادي، ففي

القروية التي تسلب أبسط حقوقها بالحصول على استقلاليتها في تربية أبنائها، فهي تشقى من الصباح إلى المساء في المنزل وفي الأرض، وفوق هذا العناء تعاني من تسلط الجدة رفة والجد عطية، ولا تملك حق الرأي أو الاعتراض وكل ما ينتظر منها الطاعة العمياء، وكل ذلك يحدث أمام زوجها ذي الشخصية السلبية،

" دخل الشايب عطية ساحة الدار..

- (يا عيال الخير.. عشيتم الحلال؟)

... زوجها لا يسمع لها كثيراً، مثلما تفعل الجدة، ولا يعجبه ماتفعله من عمل برغم إخلاصها وعنائها... فكانت تتحاشى حتى الرد عليه... وفي كل حال، فليس هناك غير حبس الكلام، والطاعة العمياء... وكانت الجدة شديدة في التفرغ، ودائمة الشكوى، وكريمة جداً في الملاحظة والانتقاد... فهي تنفرد بتفريغها، ومرة تصاحب زوجها، ومراراً تلقي بشرارة فتوقد نار الكلام ويتحرك لسان الشايب... (57)، حليلة تمثل نموذج المرأة الخاضع للعادات، فحدة صوتها أو وجوده مناقض لصوت المرأة صاحبة (الحمارة) التي استعادت حقها بالقوة، بينما صوت حليلة صوت معدوم، حتى في شكرها يكون صوتها انهزامياً "وأضافت في صوت منخفض (مليحة)، كثير من الشكر على حليب الرضيع الصناعي" (58).

بينما تجسد رواية (صالحة) أزمة الذات الأنثوية في صراع المرأة في المجتمعات الذكورية المتسلطة التي مثلها - في الرواية - رابح والفقيه و عامر.

صراع الذات الأنثوية في رواية صالحة يبدأ من العنوان إلى السياقات السردية التي تصور صالحة الأنثى، وصالحة الأم، وصالحة الأرملة، وصالحة اليتيمة، وصالحة المرأة العاملة فكل هذه السياقات الأنثوية اجتمعت في ذات صالحة بطله الرواية، وهذه الذات جسدت معاناة الأنثى في المجتمعات الذكورية، ومما عزز تمثيل صالحة بطله الرواية إلى جانب تعدد السياقات الأنثوية تفرد الرواية ووسمها باسم البطلة الأول غير متبوع باسم الأب أو العائلة، مما يزيد في تصوير

لها، كما أن البعد الدلالي لصراع الذات الأنثوية في صراعها الأبدي في التمييز ضدها، وبطبيعة الحال فإن صراع الذات الفردية التي تعيش ضمن منظومة اجتماعية لابد وأن يعكس صراعها على المجتمع، فيتزامن الزمن النفسي مع الاجتماعي الذي يتخذ مسارين، مسار يسير مع المنظومة الاجتماعية، ومسار يحارب مقولة الكل للفرد .

المبحث الثاني: الزمن الاجتماعي:

يعود تحديد مفهوم الزمن الفلكي إلى تعريف واحد ينبثق من عدة تعريفات تختلف تبعاً للحقول العلمية التي تعرفه، لكن "... ثمة تعريف اجرائي للتعبير عن الزمن الاجتماعي في استخدامه العام يوضح أن الظواهر الاجتماعية غالباً ما يكون لها إطار مرجعي بما يعني أن وحدات الزمن غالباً ما يحددها إيقاع الحياة المجتمعية ... ويختلف الزمن الاجتماعي نوعياً أو كميّاً طبقاً للمعتقدات والعادات العامة للجماعة أو المجتمع" (71).

تمثلت روايات المشري سلسلة من التغيرات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع السعودي، فكل رواية تميزت بنسق اجتماعي تاريخي تبعاً للمرحلة تمثلها الرواية، وهذه التغيرات الثقافية المادية والمعنوية تُحدث صراعاً بما تستتبعه من اختلاف في أنماط العلاقات الإنسانية والعادات والتقاليد وتبادل الأدوار الاجتماعية وفرص العمل والأدوات والطعام، وهذا الصراع يحدث بين جيلين كل جيل ينتمي إلى زمن اجتماعي معين، وكل جيل يصارع نصره لزمه الذي ينتمي إليه.

يتخذ هذا الصراع الاجتماعي مسارين، مسار يناقض الزمن الجديد لا يألفه — أصحاب هذا المسار الأجداد — ويرى فيه انسلاخ الإنسان عن أصله وجذوره وأخلاقه ومجتمعه، وأن الأبناء والأحفاد في طريق الضياع والانصهار في الزمن الجديد، أما المسار الثاني وأصحابه جيل الأحفاد الذي يحتفي بالزمن الجديد بكل متغيراته ورفاهيته، ذاهباً إلى أن التمسك بالماضي مضیعة للوقت، ويأخذ الزمن الاجتماعي في رواياته عدة أبعاد دلالية:

البيت الحلال والمؤونة، وفي الوادي الأرض⁽⁶⁴⁾، "وذلك ميزان تقعد (صالحة) في كفتيه ، مثلما يقعد أي موزون"⁽⁶⁵⁾، وعلى الرغم من تساويها مع نظرائها من رجال القرية على أساس مقياس التفاضل السابق؛ بل ربما فاقت غيرها، لكن صالحة في نهاية المطاف كذات انسحقت أمام الأعراف الاجتماعية⁽⁶⁶⁾، حرمة في أعين أولئك الرجال، الذين لهم صروف وبروتوكولات ذكورية لا يسمح (لصالحة) كذات أنثوية بتخطيها إذا ما اجتمعوا في مجلس المشورة القروي في اتخاذ أمراً يخص مجتمع القرية الذي حله وربطه بيد الرجال دون النساء، فإذا ما استوجب حضورها في مجتمعهم، فإن مكانها بطبيعة الحال يكون خارج المجلس⁽⁶⁷⁾، ويتوج السارد بمشهد الديك الذي طارد الدجاجة محاصراً إياها في الركن وهي تصيح هاربة ، لكن في نهاية المطاف تخنع له، وهو بهذا يفرض سلطته القهرية عليها! ويصدف أن يحدث هذا في المجلس الذي أجلست فيه صالحة عامراً تنتظم منه⁽⁶⁸⁾، ويسوق الراوي هذا الحدث الثانوي ليعزز دلالة صراع الأنثى للذكر الذي يعطي لنفسه الحق بأن يمارس سيادته القهرية عليها، كما أن هذا الحدث يؤدي وظيفة سرديّة مهمة وهي إقامة الحجة على عامر أمام الجميع، ويأتي سياق أخير في رواية (صالحة) يوظف ما سبق من سياقات، فكان على صالحة أن تجابه النظرة الدونية للمرأة بمقولة أنها ناقصة عقلاً ودينياً، فلو تزوجت عامراً لأثبتت على نفسها هذه المقولة، عندها الأرض الحية والبيت الحلال، وبالنتيجة ليست بحاجة إلى عامر أو غيره، يخطفها من أولادها حتى لايقول المتشددون "نسوان ناقصات العقل والدين، ذهب وراء رغبتها"⁽⁶⁹⁾، هذه الذات لم تنسحق أمام تلك الصراعات مثلما انسحقت أمام الزمن الجديد الذي مثله الخط الجديد الذي لا بد أن يمر ببيتها وهذا يستوجب إزالة بيتها، ومن ثم انهزمت صالحة أمام الزمن القادم، فسلبها بيتها وانسحق نواتها اللاتي حاربت للانتصار لها⁽⁷⁰⁾.

بناء على ماسبق عرضه يظهر أن الزمن النفسي أخذ أبعاداً دلالية في روايات المشري تتمثل في صراع الذات فيما هو كائن ، ومالا ينبغي أن يكون، حيناً تجد نفسها مقهورة ومرغمة على قبول ظروف وملابسات لا ينبغي بها الرضوخ

أما السياق الأسري بعد التحولات فتمثله أسرة ظافر النموذج القروي المتكامل الذي بلغ ذروته في انقلاب حمدان الابن على حياة القرية والمعايير الاجتماعية التي تربي عليها أبوه الذي كان لديه رأي حول ابنه فـ "يرى أنه ولد مخالف لعادات أبيه، فلم يكن بالذي يحب الزراعة... وليس بالذي يعطي الله واجب الفروض... ويرى أن المدينة زادته عصياناً"⁽⁷⁴⁾، وهذا الرأي دفعه لإعادة حمدان إلى القرية التي لم يألف العيش فيها ولا أسلوب الحياة المجتمعي، فالقرية أسرة كبيرة تتكون من أسر متفرقة، والكل يعرف تفاصيل الآخر ويعطي لنفسه الحق بالسؤال والتطفل باسم الواجب الاجتماعي.

ابتكر السارد (المعنى) ليجسد لنا ذلك الصراع ثنائية طريفة بين بيت الحجر من الصلب والمنزل الإسمنتي، فالأولى تُمثل الأسرة القديمة قبل التحولات وماتتسم به علاقاتها من صلابة بيت الحجر في ثباته أمام رياح الزمن، بينما تمثل الثانية الأسرة بعد التحولات ومآله من تغيرات جذرية واقعية في أنماط العلاقات الأسرية بما اشتمل عليه من تصميم و ما احتواه من أدوات خلخلة متانة الروابط الأسرية!

لا يختلف النموذج الأسري في رواية (ريح الكادي)، عن النماذج المقدمة في رواية (الغيوم ومنابت الشجر) حيث قدم السارد سياقين لأسرة (الشايب عطية) قبل التحولات وبعدها، السياق الأول - قبل التحولات - يُمثل النموذج الأسري النمطي القروي حيث كان الشايب عطية هو المتحكم الأول والأخير في المنزل والمزرعة وعلى الجميع السمع والطاعة بما فيهم ابنه حامد وزوجته اللذان لا يملكان أمام قرار الجد اتخاذ قرار أبنائهما، أما بعد التحولات فتتخلل تلك السيطرة بتحرر حامد بأسرته عن سيطرة أبيه ويتخذ قرار تدريس ابنته (مريم) الذي عدّه الجد نقيصة وسوء زمن، وترك حامد مهنة الزراعة والانتقال إلى البيت الحديث رغم احتجاج والده، وفي سياق مابعد التحولات تتبدل أخلاقيات القوم بتغير الزمان جالبة معها صنوفاً من الحياة لم يألفها عطية، ويأتي مشهد الحطب الذي اشتراه عطية ولم يمد أحد يده في المساعدة، في مقارنة ضمنية، يعكس تبدل أحوال الناس⁽⁷⁵⁾.

• البعد الأسري: يأتي الزمن الجديد في رواية (الغيوم ومنابت الشجر) بكل متغيراته المغربية المريحة الذي استوجب على الإنسان القروي دفع ثمن متغيراته الطارئة، فباع الثور والبقرة، ومن ثم هجر الأرض، وبهجره أرضه تخلى عن هويته الاجتماعية، ومن هنا لا بد أن يحدث صراع اجتماعي بين الأجيال، فكل جيل يمثل زمناً اجتماعياً يتصارع ويتفاضل على الجيلين الآخرين.

يتجسد الصراع على الصعيد المجتمعي في نماذج الأسر في نسقين زمنيين متناظرين للأسر التي ساقها المشري في روايته (الغيوم ومنابت الشجر) قبل وبعد التحولات متخذاً شكلين داخلياً وخارجياً، الداخلي يصور الصراع وما أحدثته التحولات على الصعيد الأسري من تشظي في العلاقات، أما الخارجي فيصور ما أحدثته التحولات من تشظي على صعيد المنظومات والأعراف والتقاليد، يسوق الراوي في كل رواياته نموذج الأسرة الأولى الذي لم تطله يد الزمان والتحولات متدرجاً في تنام عفوي مصوراً ما حل بنماذجه الأسرية من تحولات، وأول هذه العلاقات الصورة النمطية لعلاقة الابن بالأب فيحدد المعنى لتلك العلاقة بقوله: " للأب في ذهن صورة المعاقب الغائب، بعينين كجمرتين، ولسان في قليل..."⁽⁷²⁾.

تأتي علاقة مطر بزوجتيه بصورتين متناقضتين كنموذج للعلاقة الزوجية المقبولة أو المرفوضة اجتماعياً، فحليمة زوجته الأولى نموذج للعلاقة الزوجية المقبولة⁽⁷³⁾، ثم دارت عجلة الزمن وقضت حليمة، فكان على مطر أن يخوض تجربة الزوجة الثانية لأنه احتاج لامرأة ترعى منزله وأطفاله لكن مطر عاش صراعاً زوجياً لم ينبغ أن يكون، فقد سيطرت فضة - الزوجة الثانية - على كل شيء ملغية شخصيته تماماً، وهذا في العرف القروي لا ينبغي أن يكون مما حدا بجاره (فلاح) إلى اجتنابه لأن طبيعته القروية تأبى سيطرة المرأة، وانتصاراً من مطر لرجولته طلق فضة، فقد عاش صراعاً وتناقضاً بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، فكان ينبغي عليه أن ينتصر لذاته وأن يتخلص من ذلك العيب الاجتماعي.

على أهل القرية⁽⁸²⁾، ولكن هذا لم يمنعه من دفع الحق لصالحه كاملاً.

يبلغ صراع قوى الخير والباطل جذوته في رواية صالحة باعتداء عامر على مرزوق التومي الذي ينتمي إلى فريق الخير فهو رجل كريم لم يأخذ من صالحة أجرة علاجه ليد سعيدة المكسورة لأنه يرى أن أولاد القرية أولاده معللاً رفضه أخذ الأجرة لصالحه بقوله: "يا بنت الحلال، أولاد القرية أولادي، أحد يأخذ على أولاده عطاءً؟!"⁽⁸³⁾، ومع امتلاكه للطبيعة الخيرة والعطاء، إلا أنها لم تردعه من وقف تعدي عامر على أرضه التي اغتصبها بشهادة شهود الزور لعدم امتلاكه حجة مكتوبة⁽⁸⁴⁾، وتعاقبت الأيام وذات يوم كانت ابنت مرزوق التومي ترعى غنمها اعتدى عليه عامر بشد شعرها وضربها أمام الناس⁽⁸⁵⁾، وفي لحظة شيطانية اعتدى عامر على ابنة (مرزوق التومي) بالضرب فأبي إلا أن يقتل عامراً مسدلاً الستار على شروره التي طالت الجميع بما فيهم صالحة بطله الرواية، وكان التومي من القوة بتقبله ما اقترفته يده بحق عامر بأن ذهب لمركز الحكومة بعد أن عدل هندامه وبكل قوة وجسارة يسلم نفسه و(جنبيته) التي اقتص بها من عامر، وينجو مرزوق التومي بتنازل (عزة) ابنت عامر عنه التي كانت نقيضاً لأبيها والتي تنتمي لفريق الخير بلا شك.

ومن الأبعاد الدلالية الإقطاعية في (رواية الحصون) وصراع الخير والشر، يروي المحدث للصاحب "حكاية (بايع العبيد)، الذي كان يقطع أحرار النفوس، فيطليها بالقطران وبيعهما في الأسواق"⁽⁸⁶⁾، هذه الدلالة تقدم السياق الطبقي الاجتماعي، كما تبين نتيجة الظلم والصراع بين الخير والشر "في قبيلة بني فلان... جار الدهر على واحد منهم، وعض الفقر عيشته... عجا لحالنا.. نقيس القاصي والداني بما ملك، فإن ملك فلان أقمنا له سيرتنا مقاماً، وإذا عدم تسليماً بسيرته في المجالس، وقد يكون الأول منقوصاً في الجمال... والثاني (جواداً طويل ذراع)"⁽⁸⁷⁾، يسترسل المحدث في قصة (بايع العبيد) في ظلم قومه له بأن سلوه بالزور والمكر أراضيهم الزراعية، وقد ارتحل (بايع العبيد) عن قومه إلى قبيلة أخرى حتى تعلم عندهم تجارة الجلود فأصبح ثرياً، إلا

• البعد الإقطاعي : أما في رواية صالحة يتجسد الزمن الاجتماعي في الصراع بين الحق والباطل، بين الفئة السلطوية الربحية والسيادية، وبين فئة السواد الأعظم البسيطة الكادحة، والفئة السلطوية تركزت في رواية (صالحة) في المثلث السليدي عامر والفقير وابن رابح، فقد كانت المصالح مشتركة بين أقطاب مثلث الشر، وكل هؤلاء يخفون الشر والمكائد والطمع ويبدون الصلاح والتقوى⁽⁷⁶⁾.

يسوق الراوي تحول (عامر) من أقل الناس مآلاً إلى أغنى رجل في القرية، بادعائه الصلاح، وبالإيقاع بين المتنازعين بحلف اليمين حتى يقطع من حقوق الناس⁽⁷⁷⁾، فيشاع عنه في القرية أنه طيب يسابق الإمام إلى الصلاة ولسانه لا هج بذكر الله وبالتسبيح و الحوالة⁽⁷⁸⁾، إلا أن لصالحة رأياً فيه أسرته في نفسها "فهذا رجل لا يخفى لؤمه على أحد... ولم يأت يعرض عليها يد العون... إلا رغبة في البيت والمزارع والحلال.. يضيفه إلى ماملك من حقوق القوم مع الأيام"⁽⁷⁹⁾، ولكن (الأرملة صالحة) تقف بصلافة ولم تنطلي عليها حيله، لذا يقتل عامر بقرة صالحة ولسانه شامئاً بما حل بها "هيا الآن كلي من الندم نفسك، قولي: أين يوم جاءني رغباً في الزواج فيه عامر؟"⁽⁸⁰⁾، "ذهب (عامر) إلى ماذهب إليه من فوح خاطر، وقاس الأمور بموازين الربح والخسارة، وظن أن صالحاً تقياً في عين الناس لا تعرى فعلته لابد أن تخفى خطوته نواياه"⁽⁸¹⁾، وهنا يأتي دور (الفقيه) الذي حاول أولاً شراء بقرة صالحة بإيعاز من عامر، الذي حاول الأخير تحسين صورة عامر، بعدما فُضحت شروره، ولكن الفقيه كان من الخبث بأن نأى عن مجالسته حتى لا يطاله ما طال عامر، ويبلغ صراع قوى الخير والشر مداه بمواجهة صالحة عامراً بمقتل بقرتها أمام أهل القرية في مجلس الفقيه فتحول الصراع من ذاتي إلى جمعي، حيث واجه أهل القرية عامراً بإعماله الشريرة وتحمله ذنب مقتل البقرة رغم محاولاته اليايسة بالتوصل من الحق وتعداده جمائله

وعار توصم به المرأة وعائلتها، كما تُجسّد نظرة الرجل الشرقي للحب "فبيح لنفسه مثل ذلك الفضاء ويقطعه على جنس أهله"⁽⁹²⁾، وفي المقابل أشارت هذه البنية في إشارة ضمنية إلى نبل الرجل الشرقي الذي يأبى الفضح وهناك الأعراض وجنحه إلى الستر، وتحققت هذه الدلالة بحفظ الرجال اسم الفتاة التي بادلت التركي الحب⁽⁹³⁾.

ويتواجد البعد الدلالي السابق أيضًا في رواية (الوسمية) في قصة الفتاة التي أحببت رجلاً في القرية وعندما حبلت سفاخًا اختارت لنفسها ميتة الانتحار في البئر؛ فالفتاة لم تملك من القوة لمواجهة العار الذي لطخت به نفسها وعائلتها، بتقديم السارد الأحكام عليها على لسان النساء اللواتي ذهبن إلى إصدار باستحقاقها الموت مسميات المذنب بحسب رأي كل واحدة منهن:

"قلن خائفة وتستهال الموت!

قلن: لا.. العيب من أبوها"⁽⁹⁴⁾.

فالبعد الدلالي الثقافي السابق يُمثل قسوة الذات الأنثوية على جنسها، وإمعانها في الحكم على بنات جنسها، كما يتزامن بُعدًا ثقافيًا مماثلًا، يتمثل فيحكم المجتمع الذكوري الذي سيكون حكمه ضمنياً أقسى! كما أن الفتاة باختيارها الموت في البئر الذي يعد مصدر للماء الذي به يحيون وتحيا دوابهم ومزارعهم يوحي بانتقام الفتاة من المجتمع الذي بسببه أنهت حياتها بأن سلبتهم ذلك المصدر!

ويأتي البعد الاجتماعي الثقافي في استحضار صورة الرجل الشرقي في رواية (في عشق حتى)، فعندما تجد معشوقة البطل (أبو زيد) (حتى) عمل في شركة إعلان بنسبة مئوية فوق الراتب، هنا تظهر عقدة الرجل الشرقي الذي يعيش في صراع في انعتاقه من قيود المجتمعات الشرقية المثقلة بالعييب والشكوك، فعلى الرغم من (أبو زيد) من مناصري المرأة فأهم إنجازاته النظرية حق المرأة المشروع في الحياة، فالبطل يعيش في جنوره الوراثية، بعضًا من بقايا الرجل الشرقي في حجره على الأنثى، إلا أنه في المقابل

أنه لم ينس ما تعرض له من ظلم حتى كان يتحائل على زبائن قريته بأن يصطنع المودة فيخطفهم ويطلبهم بالقطران ويبيعهم كعبيد، ولكنه يلقي حتفه بعد أن استفحل في الانتقام وأثر قانون أخذ الحق باليد⁽⁸⁸⁾، كما يُقدّم النموذج السابق بعدًا دلاليًا رهيئًا بفترة زمنية ماضية وهي تجارة الرق المنتشرة آنذاك "وتعلم يا صاحبي، أن تجارة العبيد تسود الأقسام الذين تسيطر فيهم أغلبية مقتدرة... فيأخذون الصبي من أهله بحكم لونه... ثم يبيعونهم ويبقون أرقاء دون أدنى وازع ممن بالظلم والجناية يملكهم"⁽⁸⁹⁾.

● البعد الثقافي : ويتمثل هذا البعد في المفهوم القروي للأسلوب الأمثل للتعليم والتربية هو الضرب، ويأتي هذا البعد في رواية (الغيوم ومنابت الشجر) فأهل القرية يكيلون عبارات الثناء والإعجاب على مدرس الحساب لا لسبب سوى أنه يذيق طلابه أنواع العقاب البدني الذي لا يقتصر على العصا فحسب بل يتعداه إلى ضرب رأس الطلاب بلوح السبورة، أو تعقبهم بالحجارة أمام الناس "مدرس (الحساب) نخافه أكثر مما نخاف آبائنا (هذه هي الحقيقة الصعبة) ، لقد كان يعذبنا بصنوف الضرب... من يراه من المارة، يقول:

"يا سلام ، هذه التربية.. هذا التعليم!!"

أذكر أن أبا زميل لنا، قال لمدرس الحساب:

"هذا ولدي.. من يدي إلى يدك.. خذه لحمًا، ورد له عظمًا بلا لحم!"⁽⁹⁰⁾.

يأتي البعد الثقافي المنظومة الثقافية القروية ترى أن الحب والعلاقات خط أحمر وعار توصم به المرأة وعائلتها، في رواية (الحصون) يُمثل ذلك البعد فقصة الحب التي نشأت بين الجار التركي و الفتاة القروية لُتمثل، ونتيجة لهذا الحب ثارت ثائرة رجال القرية فأبوا لإقتل التركي لأنه تجاوز على المحاضير الاجتماعية القروية، ثم إنهم ستروا الفتاة ولم يُأت على تسميتها حتى أشيع أنها تزوجت وأنجبت ولدًا!⁽⁹¹⁾، فالمنظومة الثقافية القروية ترى أن الحب والعلاقات خط أحمر

علمتموهم طرد الذباب وتناول الطعام بالشوكة والسكين... أطفال الشعوب النامية"⁽¹⁰¹⁾.

زاهر يضع يده على مشكلة عويصة يلوم العالم أجمع على ما يحدث في أفريقيا والدول النامية من تدهور اقتصادي وصحي، يلوم الإعلام الذي يدفع الكثير في إعلانات المساعدات وتغطيتها يفوق كثيرا ما يقدم لحل تلك المشكلة التي يبغى من ورائها التطبيل.

- صراع الأجيال يتجسد صراع الأجيال داخل الأسرة (في رواية الغيوم ومنابت الشجر) بعد التحولات، فتتامت الأحداث في حياة مطر بالمقارنة الضمنية التي عقدها بين حياته في الماضي التي عاشها في تخبط بسبب فوضى علاقاته الزوجية، وبعد التحولات التي كان لها اليد الطولى في تلك المعاناة، فمطر الأرمل ذو القدم المبتورة يعيش القطيعة والغربة عاشهما داخل أسرته التي استبدلت البيت القديم بيت حجر الصلب ببيت إسمنتي حديث هذه الغربة والقطيعة، سببها الزمن الجديد المغاير لما عاشه، فكان يتحسر على صوت الضيف القادم الذي حلّ محلّه جرس الباب، وإلى الراديو القديم الذي استبدل بالتلفاز... فكثيرا ما كان يجر نفسه بعيداً ويسرح بنظره نحو الجبل الصامد أمام الرياح والشمس والزمن الذي لم يكن له نصيب ولا لقرينته في صمود الجبل أمام ريح التحولات⁽¹⁰²⁾، وكل هذا - بحسب رأي مطر - بسبب ضياع هذا الجيل بانقلابه على كل ما هو واجب وسنة اجتماعية فالصغار يتمادون في اللعب ومتابعة مباريات كرة القدم والجلوس أمام التلفاز، خلافاً لما كان عليه أطفال الأجيال السابقة الذين يعدون اللعب ضرباً من العيب لا يليق بهم كما أنهم يتحملون عبء واجب المساعدة والعمل يداً بيد مع الكبار في الزراعة وغيره⁽¹⁰³⁾، كان هناك فجوة مجتمعية بين جيلين زمنيين جيل الأجداد والأحفاد ولم يكن أمام جيل الأجداد (مطر، وابن زايد) سوى العيش على أطلال الزمن الغابر في

يصور المجتمع الشرقي الذي يحسن التنظير وفرض آرائه والحكم⁽⁹⁵⁾.

يجسد مشهد قتل التومي لعامر دلالة وظيفية للنموذج النمطي الاجتماعي من تقدير الثقافة القروية لمن يأخذ حقه بيده فلسان قوم التومي يقطر إعجاباً "... فالرجال يأخذون حقوقهم بأيديهم ولا ينتظرون أحداً يمنحهم"⁽⁹⁶⁾، ومن ثمّ أصبح مرزوق البطل الذي "... يشار إليه كلما لمحتة العين: هذا الذي قتل عامراً وخلصنا من شروره..."⁽⁹⁷⁾، يندم مرزوق التومي على قتله عامراً معتبراً إياها لحظة شيطانية "... بالأمس بإيمان ساعة تضرب فيها الرقبة التي تحمل رأساً دلته على القتل، واليوم يشع في صدره حب الحياة... ويوعد نفسه بنماء الأرض"⁽⁹⁸⁾، وهنا تأتي ثنائية الحياة والموت كمعادل موضوعي ليكفّر التومي عن ذنبه فكما سلب حياة سيهب الحياة للأرض بزرعها مستشعراً وصية الرسول بالزراعة⁽⁹⁹⁾.

- البعد الاقتصادي: تميّزت رواية (ريح الكادي) عن رواية (الغيوم ومنابت الشجر) بتسليطها الضوء على مشكلة البطالة وشح الأجر، يقدم السارد هذا السياق مباشرة على لسان سائق حافلة البنات الذي حدث نفسه "... وماذا في المدينة؟ لقد تغيرت مع ما تغير، ولم يعد لابن القرية فيها نصيب، وجاء الأجنبي المتعلمون وأصبح صاحب العمل يشترط التحدث بالإنجليزية... ويعطي أجراً قليلاً"⁽¹⁰⁰⁾.

يتعدى الزمن الاجتماعي في (رواية المغزول) حدود قرية المشري إلى المجتمع الإنساني العالمي، فزاهر في قمة معاناته ومرضه يستشعر أزمة الغذاء والفقر والمرض والجهل في دول العالم الثالث و الدول الأفريقية "... تصحّر احتباس نزول الأمطار في القارة السوداء، امنحهم أقل من الدعاية بثلاثة أرباع حجم الصورة الإخبارية.. فقراء جوعى مرضى بطونهم كبيرة وأطرافهم نحيلة... انظروا ألا يستحقون الشفقة... أعينهم بالغذاء بأهل الياقات البيضاء... لا أظنكم راضون عن حمى الملاريا، تُهشم دماء الأفارقة ولستم بملومين لو

والعدل والأمن الاجتماعي والاقتصادي، وغيابه يعني الموت والجوع والهلع والمصائب وكثرة الشرور والذنوب.

رواية (الوسمية) أقرب إلى أن تكون ملحمة كونية بداية من سياق العنوان إلى السياقات السردية المطرية التي ظلت مسيطرة على فضاء الرواية الزمني في حال حضوره أو غيابه، ففي الفصل الأول بحبس المطر بدأ التخوف وربط انقطاعه بالحدق والضغينة "قالوا بعد صلاة الجمعة إن سبب الجفاف.. قلوب الناس ممتلئة بالحدق وبالضغينة ولا يظهرونها. رأوا أن يقرأوا "الراتب" لا يقرأ إلا عندما يكون في القرية خائن أو مخرب لم يعترف بذنبه...

قال الفقيه: يا جماعة الخير.. نقرأ الراتب والأعمال بالنيات! (106)

يحمل المطر في الوسمية دلالتين مادية واعتقادية، فالتفكير القروي يحكم بأن المذنب الذي لم ينل عقابه أو انتشار الضغينة سبباً لغضب السماء، كما يعتقد أن الزمن المدني الذي زحف على مجتمع القرية حمل معه غضب السماء وشح الأرض ومن ثم قلة البركة و الموت، وهذا الاعتقاد يخلق حوارات في مجتمع القرية.

"قال مسفر:

"حكم آل سعود جاء بخير.. لكن قلت البركة.. وقل الخير من السماء.. وشحت الأرض...

قال "أبو صالح"

"المسألة مسألة قلوب وتعاونهم مع بعضهم.. يد الله مع الجماعة.. والبركة معهم وين ما حلوا.. حلت" (107)، وتعزز هذه النظرة الكونية في مجتمع الوسمية في تقديم السارد قصة موت فرحان بسبب الماطور (108)، الذي يُمَثَّل زحف الزمن الجديد.

استحضر السارد الدلالة الزمنية الكونية لغياب المطر باستدعاء اللحظات الثقيلة الممتلئة للخوف والسكون والانتظار والاكتفاء بالجلوس والسكوت في الفصل الأول من الوسمية

استرجاع ذكرياتهم والتندر على الجيل الفاسد. انصهر مجتمع القرية في بوتقة الزمن الحديث بكل تحولاته الاجتماعية والسكانية والاقتصادية، مُخْلِياً القرية شبه خاوية من قاطنيها خلا أبا حمدان وفضة، وتلك الهجرة امتدت لتشمل هجرة روحية وأخلاقية مخلفينها ورائهم في بيوت صلب الحجر (104).

من دراسة الزمن الاجتماعي في روايات المشري، يتبين أنه يطغى على الجو العام بعد الزمن النفسي، ومن ثم فإن الزمن الاجتماعي أخذ أبعاداً دلالية أسرية وثقافية وطبقية واقتصادية وتجديدية في روايات المشري، هذه الأبعاد اصطبغت بصبغة الزمن الذي تواجدت فيه، فالمنظومات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية تختلف باختلاف الزمن الذي عاصرته، بتأثير عوامل كونية وطبيعية.

المبحث الثالث: الزمن الكوني:

"الزمن الكوني أو الفلكي، هو إيقاع الزمن في الطبيعة ويتميز بصفة خاصة بالتكرار واللانهاية" (105)، إذن يتمثل الزمن الكوني في المظاهر الطبيعية كالأمطار والرياح تعاقب الفصول، وفيما يحويه الكون من كائنات ومخلوقات هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى علاقة الإنسان بتلك التمثلات الكونية، وطريقة تعاطيه مع القوى الكونية.

يسيطر الخطاب الكوني على روايات المشري لتجسد لنا تناغم وتصالح القروي مع بيئته مؤمناً بالتوازن البيئي فتأتي المظاهر الكونية في تناغم مع السياق الزمني الروائي للمشري لتشكل أبعاداً دلالية ثنائية موحية، يتشكل الخطاب الكوني عبر استدعاء الزمن الماضي إلى الحاضر بعمل مقارنات سياقية.

فاحتلّ المطر كظاهرة كونية مكانة خاصة في روايات المشري، فالمطر كان عاملاً مهماً في جريان الأحداث على المستوى الزمني للروايات، وعلى المستوى المعيشي القروي، فحضور المطر يحمل أبعاداً مرتبطة بالحياة والنماء والخير

زاد عن حده، إلا أن كليهما مصدر رزق وخير، فإذا غاب المطر حضر الجراد ليطيخ في أوقات الشدة، ومن ثمَّ يحمل الجراد والمطر بعدين دلالين يُحيلان بطبيعة الحال إلى الخير والرزق، وفي المقابل إلى الخوف في حال زادا عن حددهما المطلوب

يأتي المطر في رواية (الغيوم ومنابت الشجر) كدلالة تحيل إلى الفرح والبشر، فأطفال القرية يجدون في هطوله فرصة للتملص من المدرسة، "...فالمطر عذر لمن لا عذر.. المطر يمنعنا من الذهاب إلى المدرسة"⁽¹¹⁵⁾، ومع ما يحمله المطر من دلالة الحياة لكن السارد ساق بعضاً من صور عناء الإنسان القروي بعد هطول الأمطار "وقت أن تصبح دنيا القرى في الجنوب...ضباب كثيف وأنوار وسحب كالقطن المعقّر بالفحم، ومستنقعات كالمرايا تتناثر، وطين على الأقدام... يأخذ النهر في النهوض بحوافه الخضراء، ويأخذ في الهبوط"⁽¹¹⁶⁾، و "هذا النهر في وقت الأمطار يقف يحول بين أهالي القرية والسوق"⁽¹¹⁷⁾.

جسد السارد علاقة المماثلة والملازمة بين الجراد والمطر، فيصور الجراد كغيمة حمراء "فجأة امتلأت السماء بغيمة كبيرة حمراء... وأدهشتنا قلنا لبعضنا إنها القيامة"⁽¹¹⁸⁾، وتأتي النظرة الإيجابية للكون باستنشجار الجد في (رواية الغيوم) بقدم الجراد "قال لي جدي هذا خير يرسله الله لعباده"⁽¹¹⁹⁾، ثمّة في روايات المشري، ففي موضع تالٍ لنظرة الجد للجراد، يتعجب الراوي من قدرة الإنسان وتناغمه مع بيئته "يارب المسلمين. ما هذا الذي لا يبقي أخضر ولا يذر، وما هؤلاء الناس الذين لا يتركون له في الأرض فماً؟ يارب العباد اجعل لنا من صيدنا طعماً ولحماً، و(حميساً) لذيذاً"⁽¹²⁰⁾، هذه النظرة الإيجابية تأتي بتناغم القروي مع البيئة من حوله بأن انتفع من كل حالاتها.

يحمل الزمن الكوني في روايات المشري أبعاداً دلالية، تتلخص في نظرة الإنسان القروي الايجابية نحو بيئته، واعتقاده بالتوازن البيئي، بتبادله النفعي مع الكون بمظاهره وكنائنه التي يأتي منها الخير والشر.

عندما انحبس المطر، كما استحضر الفرح والحركة ودبيب الحياة والعمل بنزول المطر!⁽¹⁰⁹⁾

كما يتشكل الخطاب الكوني في رواية (ريح الكادي) عبر استدعاء دلالة الفرح بالمطر والاستبشار به والنظرة إليه بين الماضي والحاضر، فسائق الباص "كان يحسب للمطر ألف حساب، ففي العام الفائت نزل مطر قوي... واجترف معه طريق السيارات الممتد... وماعاد للمطر في القلب فرحة كنتك التي كانت ترجف أيام الزرع"⁽¹¹⁰⁾، فالجدة رفعة ترى أنّ الخير قل من الأرض بقدم الزمن الجديد إلا أنها ترى أنها ارتاحت في البيت، "وتغير مشبّ النار، وأصبح للطبخ مطهارة حديثة... بلا دخان"⁽¹¹¹⁾.

يكاد يتساوى سياق التوازن البيئي مع دلالة المطر الكونية، فالإنسان القروي يرى الكون منظومة متكاملة تقوم على التبادل النفعي بين جميع الكائنات، فاقتفاء البراغيث والبق والقمل والفران دليل هو الآخر على اختفاء خير السماء والأرض⁽¹¹²⁾.

كذلك تأتي الدلالة الكونية في رواية (صالحة) في ثنائية حضور وغياب، فكلما غابت تلك التمثلات الكونية كل ماكان ذلك دليل على شح الزمان، فالإنسان القرية في الزمن الماضي يعيش علاقة إيجابية مع البيئة من حوله، وعندما تغيرت بوصلة الزمن تخلخلت تلك العلاقة، فالجراد في رواية صالحة الذي هجم بأعداده الغفيرة، أتى على كل مزروع الناس.. فأكل الذرة، وأكل حتى فروع الطلح والعرع⁽¹¹³⁾، فيسوق الراوي رأي (صالحة) بعد تدمر سعيد بكثر الجراد الذي فاق المطر "يا بنتي.. الله، يعطي من الجراد.. الخير والشر"⁽¹¹⁴⁾، نظرة صالحة الإيجابية للكون من حولها تمثل نظرة جيل زمني للكون حوله، في مقابل تغذي الجراد على محاصيل الإنسان القروي، فإن الأخير يصطاد الأول ليكون مصدر غذاء عندما يشح الزمان وتكثر المجاعة لذا تخرج صالحة وجارتها ليملنا الأكياس بالجراد.

المطر والجراد دالتان متلازمتان، فكلاهما تصوره الرواية وهو يهطل من السماء، كما أنهما يمثلان مصدر قلق في حال

الخاتمة:

- تشكل الزمن في روايات المشري في عدة أبعاد ودلالات زمنية تعكس إيقاع الزمن الداخلي في صراع الذات في المجتمع القروي، وتعكس الواقع الخارجي في تتبع مظاهر المجتمع الثقافية والأسرية والاقتصادية، فتجلت في رواياته:
- الزمن النفسي: الذي غلب على باقي الأزمنة متمثلاً في صراع القروي مع معطيات الحاضر الجديد، وكان لأزمة الذات الأنثوية في المجتمعات القروية نصيبٌ كبيرٌ منه.
 - الزمن الاجتماعي: ثم يأتي بعد الزمن النفسي مكانة في روايات المشري، وقد أخذ أبعاداً صراعية ثقافية واقتصادية، وتراثية.
 - الزمن الكوني: ثم الذي تمثل في نظرة الإنسان القروي وتناغمه مع بيئته.

توصي الدراسة بـ:

- تتبع الأبعاد الدلالية الزمنية في نماذج روائية سعودية أخرى.
- دراسة روايات المشري في ضوء المنهج السيميائي.

الهوامش

- (1) أ. أ. مندولا، "الزمن والرواية"، ترجمة: بكر عباس، مراجعة: إحسان عباس، ط1، (بيروت: دار صادر، 1997م)، ص75.
- (2) المرجع السابق.
- (3) د. مراد مبروك، "بناء الزمن في الرواية المعاصرة، رواية تيار الوعي نموذجاً"، ط1، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)، ص157.
- (4) انظر جيرار جينيت "خطاب الحكاية، بحث في المنهج"، ترجمة: محمد معتصم وعبدالجليل الأزدي وعمر حلي، ط1 (مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 1997م)، ص9.

(5) رابح الأطرش (مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة العلوم الإنسانية)، جامعة فرحات عباس – سطيف – قسم اللغة العربية وآدابها، 2006م. مارس .

(6) صدرت طبعة الغيوم ومنابت الشجر الأولى ضمن "مختارات الفصول" المصرية عام 1989م، بينما صدرت الطبعة الأولى من روايتي ربح الكادي ورواية الحصون عام 1992م عن دار الأرض بالرياض، ثم رواية صالحة فقد صدرت طبعتها الأولى ضمن سلسلة "مختارات فصول" الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب برقم 116 في يوليو 1996م، أما الوسمية التي صدرت عن دار "شهدي" القاهرة عام 1984م، و صدرت رواية في عشق "حتى" فقد صدرت طبعتها الأولى عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 1996م، ورواية المغزول التي صدرت بعد وفاته عام 2005م.

(7) انظر: مها القصراري، الزمن في الرواية العربية [1960-2000]، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان (2002م): ص18.

(8) المرجع السابق.

(9) المرجع السابق.

(10) مندولا، مرجع سابق: ص14.

(11) يرى الدكتور حسن النعمي في كتابه رجع البصر أن المشري تعامل مع التحولات الاجتماعية من ناحيتين ماقبل التحولات وذلك في رواية الحصون وصالحة، وما بعد التحولات وذلك في الوسمية والغيوم ومنابت الشجر وريح الكادي، انظر: 74.

(12) عبد العزيز المشري، "الآثار الكاملة، الأعمال الروائية، ج1، مج2"، (البحرين: فراديس للنشر والتوزيع، 2010م)، ص195.

(13) د. حسين المناصرة، "تجليات في النص الأدبي (دراسات في الأدب السعودي)"، (الرياض: جامعة الملك سعود كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها 2015م)، ص158.

(14) - متاح على <https://fnanen.net> ، تاريخ الدخول 16/2018/9م.

(15) مبروك ، مرجع سابق: ص 168.

- (16) المشري ، مرجع سابق: ص206.
- (17) المرجع السابق: ص201.
- (18) المرجع السابق: ص 202.
- (19) المرجع السابق: ص204.
- (20) المرجع السابق: ص 260.
- (21) المرجع السابق: ص: 267.
- (22) المرجع السابق: ص: 168)
- (23) المرجع السابق: ص201.
- (24) المرجع السابق: ص: 286.
- (25) المشري 2010: 245
- (26) انظر: علي عفيفي(2004م)، الضمني والمرجأ في رواية "في عشق حتى" للمشري، متاح على
/http://www.alyaum.com/articles/208796
- (27) المشري 2010: 255
- (28) المشري 2010: 286
- (29) المشري 2010: 289
- (30) المشري 2010: 290
- (31) المشري 2010: 291
- (32) المشري 2010: 177، 178، 279، 280، 282.
- (33) المشري 2010: 329
- (34) المشري 2010: 380، 381.
- (35) المشري 2010: 380
- (36) المشري 2010: 389
- (37) المشري 2010: 423
- (38) المشري 2010: 89
- (39) المشري 2010: 99
- (40) المشري 2010: 118
- (41) المشري 2010: 203
- (42) المشري 2010: 204
- (43) المشري 2010: 204)
- (44) المشري 2010: 212
- (45) المشري 2010: 211، 212، 213.
- (46) المشري 2010: 193)،
- (47) المشري 2010: 194.
- (48) المشري 2010: 389.
- (49) المشري: 432.
- (50) المشري 2010: 425.
- (51) المشري 2010: 425.
- (52) المشري 2010: 301.
- (53) المشري 2010: 333.
- (54) المشري 2010: 333.
- (55) المشري 2010: 308.
- (56) المشري 2010: 380)
- (57) المشري 2010: 305، 307، 306 .
- (58) المشري 2010: 308، 368.
- (59) انظر: د.صالح زيّاد، (صالحه: من العنوان إلى الحكاية، الجزيرة المجلة الثقافية) العدد 358، الخميس 4، صفر 1433هـ
- (60) المشري، مرجع سابق: ص 425
- (61) المشري، مرجع سابق: ص 425.
- (62) المشري ، مرجع سابق: ص536.
- (63) المشري ، مرجع سابق: ص 532.
- (64) المشري ، مرجع سابق: ص568.
- (65) المرجع السابق.
- (66) ميروك، مرجع سبق: ص 172.
- (67) المشري، مرجع سابق: 568.
- (68) (المشري، مرجع سابق: 575).
- (69) المشري، مرجع سابق: 535.
- (70) المشري، مرجع سابق: 624، 625، 627.
- (71) أ.د. صلاح عبد المتعال، "أبعاد الزمن الاجتماعي"، (مصر: مركز الدراسات المعرفية، 2016م)، ص23.
- (72) المشري ، مرجع سابق: ص198.
- (73) المشري، مرجع سابق: ص236، ص238.
- (74) المشري، مرجع سابق: ص260.
- (75) المشري، مرجع سابق: ص404.
- (76) انظر: د. حسين المناصرة، "مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية"، (الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2012م)، ص8.

- (77) المشري ، مرجع سابق: ص538.
- (78) المشري، مرجع سابق: 537.
- (79) المرجع السابق.
- (80) المشري ، مرجع سابق: 563.
- (81) المرجع السابق: 563.
- (82) المرجع السابق: ص: 576.
- (83) المشري، مرجع سابق: ص 544.
- (84) لمشري، مرجع سابق: ص: 653.
- (85) لمشري، مؤجع سابق: ص: 654.
- (86) المشري، مرجع سابق: ص 493.
- (87) المشري، مرجع سابق: ص: 494.
- (88) المرجع السابق: ص: 494.
- (89) المشري، مرجع سابق: ص: 495.
- (90) المشري ، مرجع سابق: ص: 205.
- (91) المشري ، مرجع سابق: ص 461.
- (92) المشري، مرجع سابق: ص 462.
- (93) المرجع السابق: ص 462.
- (94) المشري، مرجع سابق: ص: 171.
- (95) المشري، مرجع سابق: 306.
- (96) المشري ، مرجع سابق: ص: 665.
- (97) المشري، مرجع سابق: 654.
- (98) المشري ، مرجع سابق: ص: 668.
- (99) المرجع السابق: ص: 668.
- (100) المشري ، مرجع سابق: ص 409.
- (101) المشري، مرجع سابق: ص: 434.
- (102) المشري، مرجع سابق: 291.
- (103) المشري، مرجع سابق: ص: 292.
- (104) المشري، مرجع سابق: ص: 291.
- (105) قاسم، مرجع سابق: ص 74.
- (106) المشري، مرجع سابق: ص 99.
- (107) المشري، مرجع سابق: ص 131.
- (108) المشري، مرجع سابق: 143 ص.
- (109) المشري، مرجع سابق: ص: 89، وص: 117.
- (110) المشري، مرجع سابق: ص: 408.
- (111) المشري، مرجع سابق: 413 ص.
- (112) المرجع السابق.
- (113) المشري، مرجع سابق: ص: 529.
- (114) المرجع السابق.
- (115) المشري، مرجع سابق: ص: 223.
- (116) المشري ، مرجع سابق: ص: 226.
- (117) المشري، مرجع سابق: ص: 227.
- (118) المشري، مرجع سابق: ص: 208.
- (119) المشري 2010، مرجع سابق: ص: 208.
- (120) المشري، مرجع سابق: ص: 209.

المراجع:

- [1] أ. مندول، الزمن والرواية، بكر عباس (1997م)، دار صادر، بيروت.
- [2] جنيت، جيران (1930م)، خطاب في الحكاية (بحث في المنهج)، محمد معتصم، عمر حلي، عبدالجليل الأزدي (1997م)، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر.
- [3] زياد، د. صالح (الخميس 4 صفر 1433 هـ) صالحة: من العنوان إلى الحكاية، الجزيرة، المجلة الثقافية، العدد 358.
- [4] سلم، أحمد سعيد (1999م) موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال مائة عام 1419/1319 هـ، ج: 2: مؤسسة المدينة للصحافة دار العلم ، جدة، ط2. ص: 109
- [5] عبد المتعال، صلاح (2016م) أبعاد الزمن الاجتماعي، مركز الدراسات المعرفية، مصر.
- [6] علي عفيفي (2004م)، الضمني والمرجأ في رواية "في عشق حتى" للمشري، متاح على <http://www.alyaum.com/articles/208796>.

- [7] قاسم، سيزا (2004م) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
- [8] القصرأوي، مها (2002م) الزمن في الرواية العربية [1960-2000]، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمّان.
- [9] ميروك، د. مراد (1998م)، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.
- [10] المشري، عبدالعزيز (2010م) الأعمال الروائية، مج الثاني والثالث، دار فراديس للنشر، البحرين.
- [11] المشري، عبدالعزيز (2010م) الآثار الكاملة، مكاشفات السيف والورد، المجلد الثاني، الأعمال الروائية ج 1 دار فراديس للنشر والتوزيع، الدمام.
- [12] المناصرة، حسين (2012م)، مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية) عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن.
- [13] المناصرة، المناصرة (2015م) تجليات في النص الأدبي (دراسات في الأدب السعودي) ، جامعة الملك سعود كلية الآداب – قسم اللغة العربية وآدابها ، الرياض.
- [14] الملي، مبارك بن محمد (طبع عدة طبعات) تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- [15] النعمي، حسن محمد (1439هـ) رجع البصر قراءات في الرواية السعودية، ط2، النادي الأدبي الثقافي بجدة.